هنري الاول المحاضرة التاسعة

هنري الاول 1100-1135 وهو الاخ الاصغر لوليم الثاني تقلد العرش اثناء غياب اخيه الاكبر روبرت دوق نور مندي حيث كان في حملته الصليبية في الاراضي المقدسة لهذا لم يكن حق هنري في العرش مرتكزا على اسس ثابته خاصة ان وليم الثاني لم يعهد به اليه وان اخاه الاكبر اكثر حقا به منه هذا بالإضافة الى عدم اخذه اراء زعماء شعبه في تقلد العرش لهذا السبب اصدر هنري الاول عهدا ملكيا وعد فيه الشعب ازالة ما لحقهم من حيف اثناء حكم اخيه ان تلك الوعود التي جاءت بذلك المرسوم الملكي تعتبر من اوائل السوابق في كفاح الانكليز من اجل حرياتهم الطبيعية .لقد ادى ذلك المرسوم الى التفاف القسم الاكبر من النبلاء حول الملك. غير ان الفئة المناوئة كانت في مركز قوي ايضا وقد حاولت عبثا سنة1101 من اقناع اخيه روبرت عند رجوعه من الحملة الصليبية ان يقوم بغزو انكلترا . ولقد انتهز هنري ثورة ضد اخيه في نورمندي فتمكن من الحاق ذلك القطر بإنكلترا بعد انتصاره على اخيه وتأسيره سنة 1106 في موقعة تنشربريا اما علاقة هنري الاول بالكنيسة فتتمثل بالمشكلة التي نشبت بينه وبين انسلم حينما رفض الاخير تأدية الولاء للأول. وموجز الحادث ان هنري ارسل في طلب انسلم عند اعتلائه العرش وعينه مجددا لرئاسة كنتر بري وامر ان تعاد الممتلكات الكنسية التي صادرها اخوه لقاء ان يقسم يمين الولاء فأمتنع انسلم عن ذلك . ويمين الولاء هذا الذي كان الامراء والملوك والاباطرة يجدون في طلبه من رجال الدين قبل البدء بمزاولة اعمالهم هو جوهر مشكلة الاستثمار العلماني لمراكز رجال الدين لقد تظاهر هنري الأول بالعدل عن طلبه اليمين كسبا للوقت وريثما تهدأ الاضطرابات التي نشبت عند اعتلاءه العرش وأملا في موافقة البابا بسكال الثاني على الطلب الذي قدمه إليه من أجل أن يستثني انكلترا من

المرسوم الكريكوري في مسألة الاستثمار العلماني للمراكز الدينية إلا أن البابوية رفضت بصورة قاطعة النظر بذلك الأمر لهذا عمد هنري بعد استتباب الأمن في بلاده إلى إثارة المشكلة الثانية فطلب إلى الرئيس الأسافة اعتزال المنصب أن لم يؤد يمين الولاء والإخلاص وكاد السلم أن يصدر التحريم في حق هنري لولا وساطة اخت الأخير اديلا وبعد مفاوضات قصيرة اشترك فيها ممثلون عن البابوية توصل الجانبان لتسوية وقتية باتفاقية بك سنة 1106 وكانت هذه نصرا في ظاهرها لرجال الدين إذ أشارت إلى أن الكنيسة وحدها صاحبة الحق في اختيار رجال الدين للمراكز الدينية وللملك حق حضور الانتخاب أو إرسال من ينوب عنه أن هذا الشرط المتضمن حضور الملك في في الانتخابات أو من يمثله من شأنه أن يفسح المجال للتأثيرات الملكية في سير الانتخاب وقد تركت الاتفاقية الحرية التامة للملك في وهب الأراضي لرجال الدين وان يطلب منهم التعهدات الإقطاعية المترتبة على ذلك وفي ضمن الحدود الدينية المتعارف عليها غير أنهم لا يجوز لهم ممارسة أعمالهم رسميا إلا بعد استلام شارات مراكزهم الدينية الجامعة والعصا. من رئيس الكنيسة الأعلى اما في صدد عقوبة الحرمان فلا يجوز للكنيسة. إصدارها بدون الحصول على موافقة الملك كما لا يجوز لاي أسقف مغادرة البلاد ما لم. يأذن بذلك وبصورة عامة كانت فترة حكمه فترة أمن وسلام فيما إذا استثنينا الاضطرابات التي تمخضت عنها ظروف اعتلاءه. العرش والحرب التي شنها على نورمندي والتي أسفرت عن ضمها إلى انكلترا. إن السلام هذا ساعد على نشر العدالة والهيمنة على الجهاز الاداري وتطويره. ووصف المؤرخون المعاصرون ذلك الملك بأنه أسد العدالة. وأنه انسان طيب ومهاب ولم يجرؤ الناس في عهده الجور على بعضهم البعض. أصبحت الحكومة في عهده أكثر مركزية وأشد سلطة وتخصصا. في الأعمال الإدارية إذ وضع نظاما ماليا دقيقة وأمر بتعيين هيئة

مشرفة على الأموال تتألف من صاحب الخزينة والوزير الأقدم ووزير العدل ونفر آخر من أعضاء المجلس الملكي وجعل اجتماعات هذه الهيئة مرتين في السنة في فصلي. الخريف. والربيع. لتدقيق حسابات الجبأة ولاستلام حصة الملك منها. أما العدالة التي حققها ذلك الملك لشعبه فبواسطة المحاكم المتجولة إذ كانت الدعاوى العامة تعرض سابقا على الملك الذي يعرضها بدوره على المجلس الملكي الذي يتبع الملك في حلة, وترحاله, كان من الصعب على سكان الأطراف النائية الوصول إلى العاصمة أو اقتفاء أثر الملك في تنقلاته لرفع شكواهم إليه لذا أمر هنري بإيفاد. عدد من أعضاء المجلس الملكي في مواقيت معينة من السنة إلى مختلف الإرجاء الإدارية لحسم القضايا المتنازع حولها والتي هي خارج اختصاص. المحاكم المحلية. ولعل أهم مشاكله قبيل وفاته مشكلة وراثة العرش وذلك لعدم وجود وريث ذكر بعد موت ابنه الشرعي الأوحد. لذا قرر إسناد العرش لابنته ماتيلادا وقد رتب أمر زواجها من قوبلاي حوفري أمير انجو في فرنسا. وكان هذا يلقب بلاتتاجنية لتعوده وضع غصن نبات معين ذي زهور صفراء على خوذته كانت ماتيلادا عند وفاة والدها خارج وان زوجها لم يجهد نفسه في المطالبة بالعرش لها

ستيفن 1135-1154

لم يحبذ أمراء الانكليز آنذاك الخضوع لعرش امرأة ولم يكن لهم سابقة في ذلك الشأن .لهذا تقاضوا عن نصرة ماتليد حينما عبر ستيفن امير بلوا بجيوشه الى انكلترا مطالبة بالعرش .وستيفن هو ابن انيلا المذكورة سابقا بنت وليم الفاتح واخت هنري الاول وقد نال تأييد النبلاء الذي لم يمض على قسمهم الى هنري الاول بالمحافظة على عرش بنته غير زمن يسير .وقد حنثوا بيمينهم لقاء وعود وهبات سنية اغدقها عليهم ستيفين . لقد اقضت المشاكل مضاجعه بالرغم من

فوزه بالتاج الانكليزي وتعزى المشاكل الى تصرفاته الخاصة وطباعه الشخصية . اذ كان مخاتلا وكثير التردد . وقد استغل النبلاء تردده فوسعوا نفوذهم بالتجاوز على بعضهم البعض وحتى على حقوق الملك نفسه . وسرعان ما نشبت الفوضى في كافة البلاد . ومما زاد الموقف تعقيدا ان قسما من النبلاء ثاروا ضده سنة 1138 مطالبين بأسناد العرش الى ماتليدا . ودامت الحرب الاهلية هذه حتى سنة 1153 حيث انتهت باتفاقية بين ستيفن وهنري بن ماتليدا . ونصت الاتفاقية المعقودة في ولنكفورد على ان يكون هنري وارث العرش الانكليزي بعد ستيفن

. هنري الثاني 1154-1189

ان شهرة هنري الثاني كانت نتيجة لما انجزه من اعمال اثناء حكمه في بريطانيا التي لم تكن في الواقع الا جزءا صغيرا من ممتلكاته . اذ ورث عن امه دوقيتي نورمندي ومين بالإضافة الى انكلترا كما ورث عنها الادعاء بدوقية بريتاني ثم ورث عن ابيه دوفيتي انجو وتورين . واضاف الى تلك الاملاك دوقية اكويتين سنة 1152 بزواجه من وريثتها الينور . وتمتد تلك الدوقية من نهر اللوار الى جبال البرانس ومن المحيط الاطلسي الى نهر الرون . وهكذا فقد سيطر هنري على نصف فرنسا تقريبا قبيل توليه العرش الانكليزي أصبحت كل من ويلز وسكوتدلاند تحت حمايته وامتدت سيطرته إلى عدة أجزاء من ايرلاند وبالرغم من تعدد ممتلكاته وشساعة مساحتها التي لم تتيسر لغيره من ملوك أوروبا آنذاك ما عدا إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. فإنه لم يلقب نفسه بالإمبراطور. ولهذا يعتبر المؤرخون أن تسمية هذه المجموعة من الممتلكات بالإمبراطورية من الأمور الخاطئة. ولعل من أهم أسباب ذلك أن مركز هنري في فرنسا لا يتعدى روما كونه تابع إلى الملك الفرنسي هذا بالإضافة إلى أن نظرية كنيسة روما في وحدة العالم المسيحي نظرية السيفيين وانضواءه تحت إمبراطورية واحدة هي الإمبراطورية

الرومانية المقدسة قد تكون من الأسباب التي حالت دون إعلان هنري لنفسه إمبراطور. لقد واجهت هنري الثاني مصاعب عائلية أدت إلى حروب أهلية. اذ كان له أربعة أولاد هم هنري ورشارد وجوفري وجون وقد توج ابنه الأكبر سنة 1170ملكا لكي يشرف على تدريبه في الحكم وأوصى إليه بنورمندي وانجو ومين. وعهد بدوقية بريتاني إلى جوفري على أن يتسلمها من أخيه الأكبر. وجعل دوقية اكويتين من حصة رشارد على أن يتسلمها من ملك فرنسا. أما جون فلم يصبه من ذلك الإرث شيء ولقب من أجل ذلك. فقير الأرض جون. وغاية هنري من هذا التقسيم أن يخصص حصص أولاده مقدما ولم يدر بخلده أن يمنحهم سلطة التصرف الفعلي وهو في قيد الحياة. ومن هنا نشأت المشكلة بين الأب وأبنائه. اذ اصر هؤلاء على الحكم الفعلي خاصة أن علاقة الوالد بأمهم اليتور لم تكن على ما يرام وانتهت بطلاقها. وكان لا لينور اليد الطولى في إثارة الأبناء على والدهم. وتعرف الثورات التي قام بها هؤلاء ضد أبيهم بثورة الأشبال التي اشترك فيها معضم النبلاء الانكليز. مرت ثورة الأشبال بمرحلتين أساسيتين. استطالت الأولى من 1173-1181 حيث تمكن فيها هنري الثاني بمساعدة المدن الإنكليزية بصورة خاصة من الانتصار على أولاده. ودامت الثانية من 1186-1189 والمحرض الأكبر فيها بين الإخوان وابيهم هو فليب أغسطس ملك فرنسا. اذ استعد في بادئ الامر جوفري ضد اخيه الاكبر هنري ولم ينته النزاع الا بموت الاول .ثم قام بتحريض هنري و اخيه رشارد لمواصلة الكفاح ضد ابيهم .واحرز الابناء انتصارا على والدهم سنة 1189في احدى المواقع العسكرية في دوقية انجو.قام هنري الثاني بإصلاحات قضائية قصد بها تقوية السلطة المركزية .فقد يعزى اليه ادخال نظام المرافعات عن طريق المحلفين. ومع ان ذلك النظام يختلف عن نظام المحلفين الحديث الا ان تشريعات هنري في ذلك الصدد مثلت الخطوة الاساسية في

نمو الاجراءات القضائية في انكلترا .وتقوم هيئة المحلفين بمعالجة امور عدة. فيتم حسم النزاع حول الاراضي بتحكيم اثني عشر خبيرا يقسمون امام حاكم العدل بأحقية اي من المدعين. لا اما النظر في الامور الجنائية فتجري حسب الانظمة التي شرعها هنري في مجلس كلارندم سنة 1166.اذ يقوم اثنا عشر محلفا في كل وحدة من وحدات المائــة الادارية .وهؤلا اشخاص لهم اطلاع على الجريمة المرتكبة في منطقتهم وغالبا ما يكونون شهود عيان .وكانوا يلجؤون ايضا الى التحكيم المحني لا ثبات الحق حسب طريقة العصور الوسطى .وقد دام ذلك الاجراء المحني حتى سنة1215 حيث منعته البابوية في عهد الوسنت الثالث. ادت اصلاحات هنري الثاني القضائية الى الاصطدام بالامتيازات القضائية الدينية .اذ اعتقد هنري بان تلك الامتيازات اصبحت ملاذ للمجرمين العلمانيين .وتوضح المشكلة التي نشبت بينه وبين رئيس اساقفة كنتربري توماس بيكث جوانب الاصطدام بين السلطتين الزمنية و الروحية .ان توماس بيكث من اصل نورمندي وعلى ثقافة عالية .اكتسب خبرا في مجالي الدنيا و الدين في انكلترا واصبح من المقربين الى هنري الثاني الذي استند اليه رئاسة اسقفية كنتربري .وكم كانت خيبة الملك شديدة حينما 222 ظلم يجد في توماس ما توقعه من مساعدة في تقليص امتيازات رجال الدين في ذلك الميدان القضائي اذ اشار توماس ذات مرة (انه لا يمكنه كسب مرضاة الله والملك في آن واحد فلا بد من التقرب إلى احدهما على حساب الاخر).إن السبب المباشر في الاصطدام هو رفض توماس المصادقة على قوانين كلارندم القضائية لا عتبارها تعديل صارخا على حقوق الكنيسة وقد اضطر توماس الى مغادرة انكلترا الى روما .ونتيجة بوساطة البابوية توصل الطرفان الى هدنة لم تحسم جذور الخلاف .وقد اصدر توماس قرار التحريم في حق اولئك الذين ساندوا الملك في خلافه مع الكنيسة لذا استشاط هنري الثاني

غضبا وكان انذاك في فرنسا. اذ قال في احدى المناسبات امام اتباعه (لماذا لم يكن له اتباع مخلصون الاخلاص المطلوب ليكفوني شر ذلك القس المزيف).لذا اعتقد اربعة من الفرسان الذين سمعوا ذلك القول بان ملكهم يود التخلص من توماس بقتله. وقد قصد هؤلاء كنسية كنتربري سنة 1170 واودوا بحياة توماس. لقد افزعت تلك الحادثة المؤلمة العالم المسيحي وخاصة في انكلترا واضطر هنري الثاني ان يعلن براءته ويستغفر البابا ووعد بمعاقبة المجرمين ثم امر بالغاء قوانين كلارندم ارضاء للكنيسة وتهدئة للرأي العام ثم قصد زائرا قبر توماس بطريقة دراماتيكية . الاجزاء البرطانية الاخرى ويقصد بذلك كل من ويلز وسكوتلاند وايرلاند.اما بالنسبة لويلز فكانت علاقاتها عدائية مع الانكلو سكسون طيلة الفترة التي سبقت الفتح النورمندي .ثم بد أملوك النورمنديين يستحوذون تدريجيا على المناطق الويلزية وقد اعب نبلاء الانكليز ادوغرا خطيرة في ذلك المجال .وبالرغم من ان هنري الاول استولى على مناطق متعددة في الاقسام الجنوبية من ويلز الان قسما كبيرا من نبلاء تلك الجهات احتفظوا بدرجة ما من الاستقلال .كما تمكن هنري الثاني من اكراه نبلاء ويلز في المناطق الشمالية على الاعتراف بسيادته. آما البلاد الاسكوتولاندية فكانت تتألف في البداية من اربعة اقسام هي(١)بكت الكائنة شمال نهر فورت(٢)سكوجيا وتتمركز حول مصب نهر لورن (٣)ستراث كلايد كائنة الى الجنوب وتشمل مصب نهر كلايد(٤)الاراضي التابعة الى مملكة نورث امبريا وتشمل المناطق الكائنة في جنوب نهر فورت وشرقي مملكة ستراث كلايد. ان اندماج بكت بمملكة سحوجيا ساعد على التوسع على حساب اراضي نورثمبريا 1018كما تمكنت سكوجيا من الاستيلاء على مملكة ستراث كلايدوبذلك تم توحيد البلاد على ايدي ملوك الاسكوج ومن اوائل ملوك المملكة الاسكوتلنديةالمتحدة الملك ماكبث1040___1057الذي استأثر بالعرش

بعد قتله دنكان في ظروف مبهمة.ثم مالكولم الثالث1058____1093.وكان هذا متأثرا بالعادات الانكليزية وتزوج من احدى اميرات ويسكس،وبذلك بدا التأثير الانكليزي في سكوتلاند وقد اضطر ما لكولم الى الاعتراف بتبعيته سنة 1072الى وليم الفاتح. ثم حاول مالكولم في عهد وليم الاحمر الاستيلاء على بعض المناطق الانكليزية غيران هذه المجازفة ادت الى خسارته منطقة كمبرلاند سنة1092.وقد حاول هنري الاول عادة العلاقات السلمية مع سكوتلاند بتزويج اخته من ملك ذلك القطر وسمح لهم بضم بعض الاراضي الانكليزية الا ان هنرر الثاني اجبرهم على اعادتها الى انكلترا سنة 1173وذلك لاشتراكهم في ثورة الاشبال.اما العلاقات الانكليزية الايرلندية فلها تاريخ مختلف عما تقدم .اذ.....كانت ايرلاند مأهولة منذ العصور الاولى بأقوام كلتيه ومن حضارة تقترب الى حد ما من حضارة انكلترا قبل الفتح النور مندي .وهناك اتصالات ثقافية وتجارية بين الايرلنديين والرومان مع أن الدولة الرومانية لم تحاول تثبيت اقدامها في ايرلاند .ومن مظاهر التأثيرات الرومانية فيها انتشار البعوث التبشيرية التي مهدت الطريق سنة ٤٣٢ للقديس باترك. وعلى العموم كانت ايرلند مزدهرة بالحضارة والعمران في وقت كانت فيه أوربا تعاني من هجمات البرابرة الاوائل. ولهذا سميت بجزيرة القديسين والعلماء. ثم أصبحت قاعدة لا رسال المبشرين الى مختلف الارجاء الاوربية. الا أن الغزوات الدانية المتوالية يملها من العوامل الهامة في انتكاس الحضارة هناك في القرنين التاسع والعاشر .ومما يلاحظ في التاريخ الايرلندي أن تقدم البلد الحضاري لم يصحبة تقدم سياسي. اذ كانت مقسمة الى عدة مناطق قبلية متنافسة مما سهلت فهم الاعداء. أن أول من فكر في فتح ايرلاند من ملوك الانكليز هو هنري الثاني بعد أن أستحصل موافقة البابا وتبريكاته علىذلك المشروع. الا أن الاوضاع الداخلية في بلاده منعته من ذلك. ونهض بهذا المشروع جماعة من أتباعه فيما

بعد سنة ١١٩٦, ومن أشهرهم دوق بمبروك وقد تم للإنكليز سنة ١١٧١ فتح المنطقة الكائنة بين دبلن ويورك .